فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾.

﴿فلا صدق ولا صلى﴾ يعني: الإنسان في قوله: ﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه﴾[1] الا ترى، إلى قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[2] ومعطوف على ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾، أي: لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى. ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه. وقيل: نزلت في أبي جهل.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾.

﴿يتمطى﴾ يتبختر وأصله يتمطط أي: يتمدد لأنّ المتبختر يمد خطاه، وقيل: هو من المطا وهو الظهر لأنه يليه، وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم».[3] يعني: كذب برسول الله ﷺ وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارًا بذلك.

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾.

﴿أولى لك﴾ بمعنى: ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾.

﴿فخلق﴾ فقدر ﴿فسوى﴾ فعدل.

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾.

﴿منه﴾ من الإنسان ﴿الزوجين﴾ الصنفين.

أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾.

﴿أليس ذلك﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بقادر﴾ على الإعادة، وروي أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلى»[4]، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة»[5].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإنسان مكية

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾.

﴿هل﴾ بمعنى قد في الاستفهام خاصة، والأصل أهل بدليل قوله: أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم. فالمعنى: أقد أتى على التقدير والتقريب جميعًا. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حين من الدهر لم يكن﴾ فيه ﴿شيئًا مذكورًا﴾ أي: كان شيئًا منسيًا غير مذكور نطفةً في الأصلاب. والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله:

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾.

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد.

فإن قُلْتَ: ما محل لم يكن شيئًا مذكورًا؟ **قُلْتُ:** محله النصب على الحال من الإنسان. كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور، أو الرفع على الوصف لحين كقوله: ﴿يومًا لا يجزي والد عن ولده﴾[6] وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال: ليتها تمت، أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئًا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف. ﴿نطفة أمشاج﴾ كبرمة أعشار وبرد أكباش، وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج قال الشماخ:

طوت أحشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيرًا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما، ومشجه ومزجه بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها المآن. وعن ابن مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار. يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿نبتليه﴾ في موضع الحال أي: خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه، كقولك: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا، تريد قاصدًا به الصيد غدًا. ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس: نصرفه في بطن أمّه نطفة ثم علقة، وقيل: هو في تقدير التأخير. يعني: فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه.

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾.

---

(1) سورة القيامة، الآية: 3.

(2) سورة القيامة، الآية: 36.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: (174) (الحديث رقم: 2261).

(4) لم أجده عند أبي داود، وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/510.

(5) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/130.

(6) سورة لقمان، الآية: 33.

وهو من التعسف شاكرًا وكفورًا حالان من الهاء في هديناه[1] أي: مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعًا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع. كان معلومًا منه[2] أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي: عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا وإما سبيلاً كفورًا. كقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾[3] وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز. وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكرًا فبتوفيقنا وأما كفورًا فبسوء اختياره، ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد.

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾.

وقرئ: سلاسل غير منون وسلاسلاً بالتنوين وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق[4] ويجري الوصل مجرى الوقف، والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾.

﴿الأبرار﴾ جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد. وعن الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرّ، والكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسًا ﴿مزاجها﴾ ما تمزج به. ﴿كافورًا﴾ ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده[5].

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾.

و﴿عينًا﴾ بدل منه. وعن قتادة: تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك. وقيل: تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور. وعينًا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل: يشربون فيها خمرًا خمر عين أو نصب على الاختصاص.

فإن قُلْتَ: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلاً وبحرف الإلصاق آخرًا؟ **قُلْتُ:** لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم. فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول شربت الماء بالعسل. ﴿يفجرونها﴾ يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم ﴿تفجيرًا﴾ سهلاً لا يمتنع عليهم.

يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾.

﴿يوفون﴾ جواب من عسى يقول: ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأنّ من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى ﴿مستطيرًا﴾ فاشيًا منتشرًا بالغًا أقصى المبالغ، من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر.

وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾.

﴿على حبه﴾ الضمير للطعام أي: مع اشتهائه والحاجة إليه. ونحوه وآتي المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. وعن الفضيل بن عياض: على حب الله ﴿وأسيرًا﴾ عن الحسن: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه. فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه[6]. وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات. وعن قتادة: كان أسيرهم يومئذٍ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه. وعن سعيد بن جبير: وعطاء هو الأسير من أهل القبلة. وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون، وسمى رسول الله ﷺ الغريم أسيرًا فقال: غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك[7].

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾.

﴿إنما نطعمكم﴾ على إرادة القول، ويجوز أن يكون قولاً باللسان منعًا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم: لطفًا وتفقيهًا وتنبيهًا على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله، وعن عائشة رضي الله عنها أنها

---

(1) قال أحمد: هذا من تحريفه المنكر، وهو عند أهل السنة على ظاهره.

(2) قال أحمد: واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله أن في التقسيم إشعاراً بفرضه الفاسد، وليس كذلك فإن التقسيم يحتمل الجزاء إما شاكراً فمثاب، وإما كفوراً فمعاقب، ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد قوله تعالى: ﴿سلاسل وأغلالاً﴾.

(3) سورة البلد، الآية: 10.

(4) قال أحمد: وهذا من الطراز الأوّل؛ لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي ﷺ في تفاصيلها، وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم، كما مرّ له وطم على ذلك ههنا، فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق إليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه، والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواتراً عنه ﷺ، وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما = لا ينصرف إلا أفعل، والقرآن مشتملة على اللغات المخلفة، وأما قوارير قوارير فقرئ بترك تنوينهما، وهو الأصل وتنوين الأوّل خاصة بدلاً من ألف الإطلاق؛ لأنها فاصلة وتنوين الثانية كالأولى اتباعاً لها، ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الأولى، فإنه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة إلى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة.

(5) قال أحمد: هذا الجواب على القولين الأوّلين الآخرين وهو أن العين بدل من الكأس، ومعنى مزاجها بالكافور: إما اشتمالها على أوصافه، وإما أن يكون الكافور المعهود كما تقدّم، فلا يتم الجواب المذكور، فيجاب عن السؤال بأنه لما ذكر الشراب أولاً باعتبار الوقوع في الوجود ذكره ثانياً مضمناً للالتذاذ به، وكأنه قال: فيشربون منها فيلتذون بها، وعليه حمله أبو عبيد.

(6) لم يخرجه الزيلعي.

(7) لم يخرجه الزيلعي.

كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءً دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله، ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئًا. وعن مجاهد: أما أنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم. والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر.

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾.

﴿إنا نخاف﴾ يحتمل إنّ إحساننا إليكم للخوف من شدّة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة، ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم: نهارك صائم. روي أنّ الكافر يعبس يومئذٍ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدّته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل. والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه. قال الزجاج: يقال اقمطرت الناقة إذا رمعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها، فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدةً. قال أسد بن ناعصة:

واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير[1] الصباح

فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾.

﴿ولقاهم نضرة وسرورًا﴾ أي: أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورًا في القلوب. وهذا يدل على أنّ اليوم موصوف بعبوس أهله.

وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾.

﴿بما صبروا﴾ صبرهم على الإيثار. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة ـ جارية لهما ـ إن برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام. فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صيامًا، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة[2].

فإن قُلْتَ: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ **قُلْتُ:** المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستانًا فيه ماكل هنيّ وحريرًا فيه ملبس بهي. يعني: أن هواءها معتدل لا حرّ شمس يحمي ولا شدّة برد تؤذي وفي الحديث: هواء الجنة سجسج لا حرّ ولا قرّ، وقيل: الزمهرير القمر. وعن ثعلب أنه في لغة طيئ وأنشد:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾.

فإن قُلْتَ: ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ علام عطفت؟ **قُلْتُ:** على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين، وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم، إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا. ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل: وجزاهم جنةً جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنوّ الظلال عليهم. وقرئ: ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال. والمعنى: لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا. والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة، ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين، كقوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[3] لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا.

فإن قُلْتَ: فعلام عطف ﴿وذللت﴾؟ **قُلْتُ:** هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية، وإذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي: تدنو ظلالها عليهم، في حال تذليل قطوفها لهم، أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها، وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت: جنة ذللت قطوفها كان صحيحًا وتذليل القطوف أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطوفها كف شاؤا أن تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصيرًا.

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ

(1) قمطرير: شر قمطرير، أي شديد.

(2) ذكره الثعلبي في تفسيره، ورواه الحكيم الترمذي في كتاب: نوادر الأصول، زيلعي: 4/134.

(3) سورة الرحمن، الآية: 55.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿قوارير قوارير﴾ قرئا غير منونين وبتنوين الأوّل وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة، وفي الثاني لاتباعه الأوّل، ومعنى قوارير من ﴿فضة﴾ أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها

فإن قُلْتَ: ما معنى كانت؟ **قُلْتُ:** هو من يكون في قوله: كن فيكون. أي: تكوّنت قوارير بتكوين الله تفخيمًا لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله: كان مزاجها كافورًا. وقرئ*: قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير. ﴿قدروها﴾ صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا. وقيل: الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله: ﴿ويطاف عليهم﴾ على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز، وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض، وقرئ*: قدّروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر، تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرًا له ومعناه: جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾.

سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى:

كأنّ القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس:

وكأن طعم الزنجبيل به ... إذ نقته وسلافة الخمر

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

و﴿سلسبيلاً﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق سهولة مساغها. يعني: أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة. قال الزجاج: السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة. وقرئ*: سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث، وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلاً إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً جعلت علمًا للعين كما قيل: تأبط شرًا وذرى حبًا، وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبدع، وفي شعر بعض المحدثين:

سل سبيلاً فيها إلى راحة النفس ... س براح كانها سلسبيل

وعينًا بدل من زنجبيلاً، وقيل: تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها، وعينًا على هذا القول مبدلة من كأسًا كأنه قيل: ويسقون فيها كأسًا كأس عين، أو منصوبة على الاختصاص.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور. وعن المأمون: أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال: لله در أبي نوّاس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن صغري وكبري من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿رأيت﴾ ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أنّ بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير و﴿ثم﴾ في موضع النصب على الظرف يعني: في الجنة. ومن قال: معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. ﴿كبيرًا﴾ واسعًا وهنيئًا. يروى أن أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقيل: لا زوال له وقيل: إذا أرادوا شيئًا كان، وقيل: يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم. قرئ*: عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿ثياب سندس﴾ أي: ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس، وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم. أي: يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤًا عاليًا لهم ثياب، ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم، وخضر وإستبرق بالرفع حملاً على الثياب بالجر على السندس[1]. وقرئ*: وإستبرق نصبًا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف

---

(1) قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فإنه يجعله داخلاً في مضمون الحسبان، وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤاً، فإنه على طريق = التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ إلى أن يحسبوا لؤلؤاً، ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول.

تقول: الإستبرق. إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضًا لأنه معرب مشهور تعريبه وأنّ أصله استبره. ﴿وحلوا﴾ عطف على ويطوف عليهم.

فإن قُلْتَ: ذكر ههنا أنّ أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب! **قُلْتُ:** هب أنه قيل: وحلّوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما الى الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلى وتجمع بينهما. وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة. ﴿شرابًا طهورًا﴾ ليس برجس كخمر الدنيا لأنّ كونها رجسًا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها أو لأنه لا يؤل إلى النجاسة لأنه يرشح عرقًا أبدانهم له ريح كريح المسك. أي: يقال لأهل الجنة:

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾.

﴿إنّ هذا﴾ وهذا إشارة إلى ما تقدّم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم، والشكر مجاز. تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لأنّ تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرّر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمةً وصوابًا، كأنه قيل: ما نزل عليك القرآن تنزيلاً مفرقًا منجمًا إلا أنا لا غيري، وقد عرفتني حكيمًا فاعلاً لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين.

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾.

﴿فاصبر لحكم ربك﴾ الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدًا قلة صبر منك على أذاهم وضجرًا من تأخر الظفر. وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم. إن أجابهم.

فإن قُلْتَ: كانوا كلهم كفرةً فما معنى القسمة في قوله: **﴿آثمًا أو كفورًا﴾**؟ **قُلْتُ:** معناه ولا تطع منهم راكبًا لما ما هو إثم داعيًا لك إليه أو فاعلاً لما هو كفر داعيًا لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث. وقيل: الآثم عتبة، والكفور الوليد، لأنّ عتبة كان ركابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفسوق، وكان الوليد غالبًا في الكفر شديد الشكيمة في العتوّ.

فإن قُلْتَ: معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيًا عن طاعتهما جميعًا! **قُلْتُ:** لو قيل: ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما. وإذا قيل: لا تطع أحدهما علم أنّ الناهي عن طاعته أحدهما عن طاعتهما جميعًا أنهى كما إذا نهى أن يقول لأبويه: أفٍ، علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى.

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾.

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وبعض الليل فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء، وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾[1] **﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾** وتهجد له هزيعًا طويلاً من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾.

﴿إنّ هؤلاء﴾ الكفرة **﴿يحبون العاجلة﴾** يؤثرونها على الآخرة. كقوله: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾[2] **﴿وراءهم﴾** قدّامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به. **﴿يومًا ثقيلاً﴾** استعير الثقل لشدّته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله، ونحوه: ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾[3] الأسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وهو الإسار، وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب. والمعنى: شددنا توصيل عظامهم بعضًا ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته.

نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾.

﴿وإذا شئنا﴾ أهلكناهم و**﴿بدلنا أمثالهم﴾** في شدّة الأسر. يعني: النشأة الأخرى وقيل: معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع، وحقه أن يجيء بإن لا بإذا كقوله: وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم، إن يشأ يذهبكم.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾.

﴿هذه﴾ إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة **﴿فمن شاء﴾** فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرّب إليه والتوسل بالطاعة.

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾.

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 10.

(2) سورة الأعلى، الآية: 16.

(3) سورة الأعراف، الآية: 187.

﴿وما تشاءون﴾ الطاعة ﴿إلا أن يشاء الله﴾ بقسرهم عليها ﴿إنّ الله كان عليمًا﴾ بأحوالهم وما يكون منهم. ﴿حكيمًا﴾ حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ: تشاؤون بالتاء.

فإن قُلْتَ: ما محل أن يشاء الله[1]! **قُلْتُ:** النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: إلا ما يشاء الله، لأنّ ما مع الفعل كان معه.

يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾.

﴿يدخل من يشاء﴾ هم المؤمنون، ونصب ﴿والظالمين﴾ بفعل يفسره أعد لهم نحو: أو عدّ كافا، وما أشبه ذلك، وقرأ ابن مسعود: وللظالمين علي، وأعدّ للظالمين وقرأ ابن الزبير: والظالمون، على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنةً وحريرًا»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المرسلات مكية

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾.

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره.

فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾.

فعصفن في مضيهنّ كما تعصف الرياح تخففًا في امتثال أمره، وبطوائف منهم.

وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾.

نشرن أجنحتهنّ في الجو عند انحطاطهنّ بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أو حين.

فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾.

ففرّقن بين الحق والباطل.

فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾.

فألقين ذكرًا إلى الأنبياء.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾.

﴿عذرًا﴾ للمحقين ﴿أو نذرًا﴾ للمبطلين، أو أقسم برياح عذاب أرسلهنّ فعصفن برياح رحمة نشرن السحاب في الجوف ففرّقن بينه كقوله: ﴿ويجعله كسفًا﴾[3] أو بسحائب نشرن الموات ففرّقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله: ﴿لأسقيناهم ماءً غدقًا لنفتنهم فيه﴾[4] فألقين ذكرًا إمّا عذرًا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذارًا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببًا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت.

فإن قُلْتَ: ما معنى عرفًا؟ **قُلْتُ:** متتابعة كشعر العرف، يقال: جاؤوا عرفًا واحدًا، وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي: أرسلن للإحسان والمعروف، والأول على الحال. وقرئ: عرفًا على التثقيل نحو نكر في نكر.

فإن قُلْتَ: قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفًا! **قُلْتُ:** إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم.

فإن قُلْتَ: ما العذر والنذر وبما انتصب؟ **قُلْتُ:** هما مصدر أن من عذر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوّف على فعل كالكفر والشكر، ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة، وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من نكرًا على الوجهين الأوّلين، أو على المفعول له، وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين. وقرئا مخففين ومثقلين.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾.

أنّ الذي توعدون من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم. وعن بعضهم أنّ المعنى:

---

(1) قال أحمد: وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوّره على خزائن الكتاب العزيز، كدأب الشطار واللصوص فلنقطع يد حجته التي أعدّها، وذلك حكم هذه السرقة وحدّها فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه، ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والإثبات؛ لأنّ هذا النظم أعلق شيء بالحصر وأبله عليه، فنفى الله تعالى أن يفعل العبد شيئاً له في اختيار ومشيئة، إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل، فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع وهو رديف: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وانظر إدخاله القسر في تعطيل الآية لا تأويلها كيف ناقض به، فإنّ معنى الآية عنده: أنّ مشيئة العبد الفعل = لا تكون إلا إذا قسره الله عليها، والقسر مناف للمشيئة، فصار الحاصل أنّ مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت، فإذاً لا مشيئة للعبد البتة، والاختيار وما هو إلا فرّ من إثبات قدرة العبد غير مؤثرة، ومشيئة غير خالقة ليتمّ له إثبات قدرة ومشيئة مؤثرين، فوقع في سلب القدرة والمشيئة أصلاً وراساً، وحيث لزم الحيد عن الاعتزال، انحرف بالكلية إلى الطرف الأقصى متحيزاً إلى الجبر، فيا بعدما توجه بسوء نظره، والله الموفق.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفسيره 4/136.

(3) سورة الروم، الآية: 48.

(4) سورة الجن، الآية: 16.